جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مُحاضرة دراسات أدبية قديمة:مرحلة الماجستير

مُدرسة المادة: أ.د.أسماء صابر جاسم

عِنوان المُحاضرة: أثر البيئة في بنية القصيدة الجاهلية

المحاضرة:الثانية

1445هـ 2023مـ

أثر البيئه في بنية القصيده الجاهليه

تعريف البيئه

البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظاهرات طبيعية، وبشرية، يتأثر ويؤثر بها، ويحصل على مقومات حياته من غذاء وكساء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من البشر.

بنية القصيده

ينطوي مفهوم البنيه على دلالة معماريه وترتد بالكلمه المذكوره الى الفعل الثلاثي بنى يبني بناء وبنية وتلج الكلمه عند الاستعمال مجال البناء والتشيد والتركيب والتكوين،للدلاله على الكيفية التي شيد على نحوها هذا البناء.

وضمن هذا المنظور الفني بمعناه البنائي وردت لفظه بنية في تنظيرات النقاد العرب القداما فاطلقوها على بناء الشعر وطريقة تركيبه.

بنية القصيدة الجاهلية القبلية تتكون في الغالب من وحدات متعددة، يكون الوقوف على الأطلال والتغزل بالحبيبة من بعض هذه المكونات، وتلحقهما مكونات أخرى، مثل وصف الرحلة مرة، أو وصف الفرس مرة، أو التعرض للسلم أو الحرب مرة، وهكذا، إذ من المؤكد أنَّ غالبية القصائد الجاهلية القبلية تتميز بتعدد الوحدات المكونة لها، ترى هل يمكننا القول إنَّ هذا التعدد في الوحدات الشعرية إنما هو صدى وصورة لتعدد طبقات البناء الاجتماعي في القبيلة، فإذا كانت القبيلة تتعدد طبقاتها : من أحرار، وموال، وعبيد، ماثلت ذلك القصيدة بتعدد وحداتها المكونة لها:

القبيلة : تعدد الطبقات : أحرار، وموالي، وعبيد

القصيدة : تعدد الوحدات الفنية : المقدمة الطللية، الغزل،وصف الرحلة، أو أشياء أخرى

ومن المقدمات قول الاعشى

ودع هريرة إن الركب مرتــحل وهـــــــل تطيق وداعا أيها الرجـــل

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتـــــها مـــــر السحابة لا ريــث ولا عجـــل

وكذلك قول طرفه ابن العبد

لخولـة اطلال ببرقة ثهمـــــدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

ان "المقدمة وما يتصل بها من حديث الصحراء" إنما هو محاولة لإثبات وجود الشاعر الجاهلي أمام مشكلة الفراغ في حياته، وهي مشكلة لم يجد لها حلًّا إلّا عن طريق هذه المتع التي لم يجد مكانًا للتعبير عنها في زحمة الالتزامات القبلية إلّا في مقدمات قصائده، ومن هنا كان طبيعيًّا أن تخلو قصائد الرثاء من هذه المقدمات؛ لأن مقامها ليس مقام لهو أو متعة، ولأن الموت الذي يتحدث عنه الشاعر قد وضع حلًّا نهائيًّا لمشكلة الفراغ التي كان يحاول بوسائله المختلفة أن يجد حلًّا لها، وهي سائل لم يعد للحديث عنها مكان في هذه القصائد ،المقدمة، أو الصورة الطللية، آلت إلى شعراء مرحلة نضج القصيدة الجاهلية تراثًا تقليديًّا يمتلك القدرة على استعياب آثار الآثار النفسية الشفافة التي تنبثق في لحظات محاولة استرجاع صور الماضي المفقود، فتستنزف جهد الشاعر رغم بعدها النسبي عن

طبيعة تجربته الآنية، لأنها تبدو مهيأة لاستيعاب الزخم النفسي غير المرتبط إلى أية دلالة موضوعية حاسمة في أغلب الأحيان، ولكنها تقدم مؤشرًا واضحًا إلى عمق ارتباط الشاعر بالبيئة التي ظلّت تواجه حياته، يتحدى الرحيل الأبدي وترفد صيغته الطللية بتفاصيل المعاناة، وأما ارتباط المرأة بالصيغة الطللية فإنه يبدو منبثقًا عن ارتباط منابع الحنين إلى الاستقرار ووحدتها النفسية رغم تشبعها الموضوعي، ولذا فلا طلل نجده في قصائد الرثاء والحماسة والهجاء، ولا يُمكننا تجاهل أهمّية المكان بالنسبة للعربي في الجاهلية حتى عندما يُفارقه، فهو مرغمٌ بسبب ظروف الطبيعة القاسية، ومع ذلك فهو يبكي على فراقه، يعيش جزيئيات تلك الأماكن الُمحبّبة ويحرص على وصفها بدقّة بالغة مُسخّراً في سبيل ذلك مقدرته الخيالية الواسعة وحصيلته اللغوية الثرّة،تُعدُّ الصحراء من الفضاءات الواسعة المفتوحة بشكل لامُتناهٍ، ولايخفى ما لهذا الفضاء المفتوح من أثرٍ نفسي وفكري وجسدي في ساكنيه، ولاسيّما الشعراء إذ تساعدهم في خلق الإيحاءات والصور الشعرية المُقتبسة من ذلك الواقع الذي إمتزجوا معه حتى أصبحوا جُزءاً منه.

ويرى الدكتور يوسف خليف:ان البكاء الاطلال ليس عاطغه خاصه ولا تجربه وجدانيه بل لحظه حزينه املاها على الشاعر شعور الجماعه التي ينتمي اليها بالحرمان من الوطن المكاني وبالحنين الى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه ان يقيم بيتا،ويخلد فيه ذكرياته ويسترجع ملاعب صباه وهو في الواقع لا يواجه ذكرى حبه فحسب وانما كانت تتداعى في ذاكرته صور شبابه الذاهب.

وهذان الدافعان يكفيان لخلق عاطفه تثير في نفسه جوا مناسبا يحمله على الحنين،وبعد ذلك التمهيد الذي يخلق الجو الشاعري المناسب لقول القصيده

وفي الواقع تُمثّل الصحراء العدو الأول الذي يواجهه العربي في الجاهلية بما فيها من مخاطر محيطة به، بسعتها ومجاهلها، ووحوشها، وجفافها، كلُّ هذه الأُمور مُجتمعة أدّتْ إلى خلْق شعور نفسي خاص، دفعه إلى مواجهة المجهول والرغبة في تخطّي تلك الصعوبات، ومع ذلك تظل اللوحة الطللية مظهرًا من مظاهر تأثير البيئة الجاهلية على إنسانها، فهي بيئة بدوية ديدنها تنقل أهلها وارتحالهم من مكان إلى آخر، ومن ثم فهذه اللوحة الطللية " تعبير عن تلك الظاهرة الطبيعية في المجتمع البدوي، ظاهرة الحركة التي كانت نتيجة طبيعية للتفاعل الحتمي بين البيئة والحياة " وذلك ما يقترب بنا من الصورة العامة التي رسمها الشعراء الجاهليون للأطلال فقد صوروها حية نابضة بمظاهر الحركة والحياة التي تبدو في اقتران صورة الطلل بالماء والحيوانات والألوان المختلفة والدعاء بالنعمة والسقيا من الشاعر المتأمل فيها.

وبالرغم من مكانة اللوحة الطللية في القصيدة القديمة، فإن عدة أبياتها في كثير من الأحيان لا تكاد تجاوز أصابع اليد، وإن زادت فلا تكاد تصل إلى عدة أصابع اليدين.ولقد اهتم الشهراء منذ القدم بمطالع قصائدهم،لانها اول ما تفاجأ السامع،فلا بد ان يكون لها وقع حسن،ولذلك حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنه التي تكون واضحه سهله الماخذ مع القوة والجزلة،وقد لاحظوا مناسبة المطلع لموضوع القصيدة،فاذا كان المقام حزن كان أولى بالمطلع ان يبتدئي بذلك من اول بيت،واذا كان المقام مقام مدح تهنئه او مدح كرهوا الابتداء بما يتشائم به.